مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (39) العدد (4)2017
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (39) No. (4) 2017

الاتصالات الأوروبية المغولية بين عامي (643-650هـ / 1245- 1253م) الهدف و أسباب الإخفاق

د. أسامة مهنا*

(تاريخ الإيداع 9 / 10 / 2016. قبل للنشر في 20 / 7 / 2017)

□ ملخّص □

يلقي البحث الضوء على محاولة البابوية التحالف مع المغول والتي كانت تهدف إلى تحقيق غايتين أساسيتين هما: تطويق العالم الإسلامي، ونشر المسيحية بين المغول كسباً لهم من جهة، واتقاءً لشرهم من جهة أخرى. ففي الوقت الذي يهاجم به المغول بغداد يقوم الصليبيون بمهاجمة مصر، وفي سبيل تحقيق ذلك، قامت البابوية بإرسال السفارات المتتالية، والتي بدأت بسفارة يوحنا الكاربيني، تلاها بعثة أندريه لونجو، ثم بعثة أنسليم أسيلين. كان مضمون الرسائل، التي حملتها هذه السفارات، يشير إلى الدعوة إلى اعتناق المسيحية، وإحلال السلام بين الأوروبيين والمغول. لكن رد المغول كان مخيباً للأمالهم؛ إذ طلبوا من البابا وملوك أوروبا الحضور شخصياً، وتقديم فروض الطاعة والولاء لهم.

وعلى الرغم من ذلك، لم يقتصر أمر هذه السفارات على السلطة الدينية (البابوية)، بل انتقل إلى السلطة السياسية فقد أبدى الملك لويس التاسع رغبة كبيرة في التحالف مع المغول، ويرسل سفاراته لهذه الغاية، والتي لم تأت بشي جديد سوى أنها أكدت للبابوية ولويس أن فكرة التحالف مع المغول، في تلك المرحلة، شيء مستحيل في ظل السياسة التي اتبعها المغول مع جميع سكان العالم؛ إما الخضوع وإما الحرب.

الكلمات المفتاحية: المغول – الأوربيون– السفارات – التحالف – الصليبيون– المسيحية– بعثة– البابا–المسلمين

* مدرس – قسم التاريخ– كلية الآداب – جامعة الفرات– دير الزور– سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (39) العدد (4)2017
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (39) No. (4) 2017

Mogul European Communications between the years (643/650) AH _(1245/1253)AD The aim and the reasons of failure

Dr. Osama Mhanna*

(Received 9 / 10 / 2016. Accepted 20 / 7 / 2017)

□ ABSTRACT □

This paper presents the papal attempt to ally with the Mongols who aimed to achieve two basic objectives: surround the Islamic world and spread the Christianity among the Mongols in order to attract them on one hand and prevent their malice on the other. At the time the Mongols are attacking Baghdad, the Crusaders can attack Egypt. In order to achieve that, the papal authority sent many reconciliations that began with John Alcaerbini reconciliation followed by Andrei Lunga mission then Anselmo Ocelin mission. The content of the messages of those reconciliations was the call to follow the Christianity and to prevail peace between the Europeans and the Mongols, but the reaction of the Mongols was disappointing because they asked the Pope and the King's of Europe to attend by themselves and show their loyalty and obedience to them. However, these reconciliations were not only restricted to the religious authority (the papacy), but also moved to the political side, by the King Louis IX showing a great desire in allying with the Mongols and sending several reconciliations to achieve it. But in vain, because it only assured to the papal authority and the King Louis that the idea of alliance with the Mongols at that period was impossible in the policy that the Mongols followed with all the world's population: either by obedience or by war.

Keywords: Mongols, Europeans, Reconciliations, Allying, Crusaders, Christianity, Mission, The pope, Muslims.

***Assistant professor, Department of History, Faculty of Arts and Humanities, University of Al-Furat, Dir ALzor , Syria..**

مقدمة

شهد الغرب الأوروبي في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي صراعاً مريراً بين السلطة الدينية المتمثلة بالبابوية من جهة والسلطة السياسة المتمثلة بالإمبراطور من جهة أخرى، وقد أرخى هذا الأمر بظلاله على العالم المسيحي الذي انقسم بين مؤيد لهذا ومعارض لذاك متجاهلين نداءات الاستغاثة من قبل إخوانهم المسيحيين في روسيا وبولندا والمجر الذين كانوا يتعرضون لأبشع المجازر من قبل المغول. فقد أرسل ملك المجر عن طريق مبعوثيه برسائل يتضرع فيها للبابوية لدعوة لحملة صليبية ضد المغول ويتوسل إلى الامبراطور فريدريك للعمل على حشد قواته وإرسالها لنجدته، كما عرض عليه مقابل ذلك ولاءه وتبعيته له في حال إرسال نجدة عاجلة لتخليص بلاده من المغول. وبدلاً من أن يقوم فريدريك بتلبية نداء الاستغاثة عمل على استغلال هذا الأمر في صراعه مع البابا فقد وجد في الخطر المغولي فرصة لتوحيد الغرب تحت لوائه وإلقاء المسؤولية على البابوية بأنها السبب في انقسام العالم الكاثوليكي بين مؤيد ومعارض(1). وبالمقابل لم تقم البابوية بأي خطوة للوقوف في وجه المغول بل استمرت في صراعها مع الامبراطور ولم تكترث لمقتل خمس وستين ألف مجري وأربعين ألف بولندي وعدد لا يحصى من الروس بل كان همها ألا تزيد قوة الامبراطور فريدريك وأن لا يستطيع التحالف مع أي قائد أوروبي. واستمر الأمر سجالاً بين الامبراطورية والبابوية إلى أن توفي البابا جريجوري التاسع واستلم أنوسنت الرابع كرسي البابوية والذي أعطى المسألة المغولية اهتماماً كبيراً إذ دعا إلى عقد مجمع مسكوني لبحث المسألة المغولية داعياً لقيام حملة صليبية ضد المغول إلا أنه كان يدرك عجزه عن تأليف قوة حربية لمواجهة هذا الخطر الداهم لذلك أرسل عدة سفراء لقادة المغول في شمال ووسط أسيا وشرقها لتشكيل تحالف الغاية منه استهداف المشرق الإسلامي(2). وبالمقابل لم يكن المشرق الإسلامي أكثر تماسكاً من الغرب المسيحي في تلك الفترة إذ كان بدوره يعاني من التفكك والانحلال؛ فقد حكم المشرق العربي قوى مختلفة متناقضة مذهبياً وسياسياً، وكانت هذه القوى تحمل في طياتها عوامل ضعفها؛ ففي بغداد كانت الخلافة العباسية في طريقها إلى الانهيار نتيجة لضعف الخلفاء وفقدان هيبتهم من ناحية، وسيطرة الفرس ثم الأتراك من ناحية أخرى؛ إذ أستأثر هؤلاء بالسلطة، وطغى نفوذهم على الخليفة نفسه، وكانت نتيجة ذلك أن فقدت الخلافة وحدتها السياسية والدينية ولم يبق لها من السلطة إلا الاسم.

---

(1) هلال،عادل: *العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي*،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،ط1، 1997م، ص 49، 50. عمران، محمود. *المغول وأوروبا* . دار المعرفة الجامعية ، ص 54. عوض، محمد. *الحروب الصليبية،العلاقات بين الشرق والغرب في القرنيين 6-7هـ/12-13م*، 2000/1999م، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،ط1، ص54، 55.

(2) عاشور، سعيد: *تاريخ أوروبا في العصور الوسطى*، دار النهضة العربية، بيروت،1967م ص،359. هلال. *العلاقات بين المغول وأوروبا*. ص54، 55، 56. عمران: المغول وأوروبا،ص54،5.

وفي مصر كانت الخلافة الفاطمية ترنو بنظرها إلى بلاد الشام، وتسعى للسيطرة عليها، فالفاطميون يرون في بلاد الشام امتداداً طبيعياً لمصر، ولم تكن الخلافة العباسية بوارد التخلي عن بلاد الشام، وهي التي كانت تعلم مدى أهميتها السياسية والاقتصادية، فدخل الطرفان في صراعات مذهبية وسياسية، استنفدت قوى المشرق العربي الإسلامي، وتركته في حال من الضعف والانقسام (3). في هذه الظروف، وجد الأوروبيين الفرصة سانحة لشن حربهم الاستعمارية التي صبغوها بالصبغة الدينية؛ لإخفاء ما تنطوي عليه من المطامع والأغراض السياسية والتجارية والاستعمارية وأطلقوا عليها اسم الحروب الصليبية (4).

في تلك الحقبة الزمنية، كان المشرق العربي الإسلامي على موعد مع غزو آخر أفظع وأشنع من هذه الغزوات الصليبية، هو الغزو المغولي، الذي انطلق من منغوليا في جوف آسيا قاصداً الصين وتركستان وإيران وآسيا الصغرى وبلاد الشام، مدمراً كل معالم الحضارة فيها (5). ونظراً للخوف الذي كان يعتري الأوروبيين من هؤلاء المغول، وخصوصاً، بأنه أصبح واضحاً للعيان بأن جنكيزخان كان يهدف من وراء فتوحاته على الجبهة الغربية تمهيد الطريق للتوغل في أوروبا متى سنحت له الفرصة الأمر الذي حذا بالبابا جريجوري التاسع(6) الذي تولى عرش البابوية سنة 625هـ / 1227م إلى دق ناقوس الخطر، والدعوة إلى القيام بحملة صليبية ضد المغول لصد تيارهم الجارف. ولما كان الأوروبيون يدركون مدى فظاعة المغول وهمجيتهم خلال حروبهم، أخذوا يبحثون عن سبل أخرى أقل دموية، وأكثر سلمية، فوجدوا إن أفضل وسيلة لذلك هي التحالف معهم.

---

(3) النسوي، محمد : *سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي* ، تحقيق حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي ، مصر، 1953م، ص4،7،9. شبارو، عصام: *تاريخ المشرق العربي الإسلامي* ، دار الفكر اللبناني، بيروت،1999م، ص7. العريني، السيد الباز: *الشرق الأدنى في العصور الوسطى (الأيوبيون)*، دار النهضة العربية، بيروت ، ص6. نوري، دريد: *سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد مصر والشام والجزيرة* ، مطبعة الارشاد، بغداد ، 1976م، ص 48، 49، 50. توفيق، عمر : *الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين*، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1986م،ص52.

(4) باركر، ارنست: *الحروب الصليبية* ، ترجمة:السيد الباز العريني، دار النهضة العربية ، بيروت ،ص 5. علي، علي: *المرأة المصرية والشامية في عصر الحروب الصليبية* ، المجلس الأعلى للثقافة ، 2002م ، ص3. العريني. *الشرق الأدنى*. ص5. نوري. *سياسة صلاح الدين*، ص50،51،52.

(5) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم. *الكامل في التاريخ* ، راجعه وصححه محمد يوسف ، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت ، 1415هـ / 1995م، م10، ص 401.ابن العميد، جرجس : *أخبار الأيوبيين* . مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،ص 7،8. أبي الفداء، اسماعيل : *تاريخ أبي الفداء المختصر في أخبار البشر* ، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت ،1417هـ / 1997م ، ج2، ص216. ابن خلدون، عبد الرحمن : *تاريخ ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام الغرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر* ، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، لبنان، 1391هـ/1971م ، ج3، ص534،535. النسوي: *سيرة جلال الدين* ، ص 11، مؤرخ، مجهول : *تتمة كتاب وليم الصوري والمنسوب خطا إلى روثلا* ، ترجمة :أسامة زيد زكي،1989م،ص124،125.

(6) جريجوري التاسع :استلم عرش البابوية سنة 625هـ/1227م وكان قد بلغ الثمانين من عمره وهو الذي أصدر قرار بحرمان الامبراطور فريدريك من رحمة الكنيسة استمرفي منصبه حتى وفاته عام 639هـ/ 1241م . عمران: *المغول وأوروبا*. ص144، 145.

أهمية البحث و أهدافه

بناءً على ما تقدم، يمكن تبيان الأهداف وراء اختيار هذا الموضوع والتي تتلخص بما يأتي:

1 - إظهار الأسباب الحقيقة وراء رغبة البابوية في إقامة هذا التحالف مع المغول الوثنيين، والتي تختصر في نقطتين:

أ – اتقاء لشرهم؛ لأنهم كانوا يدركون بأن الاجتياح المغولي لأوروبا كان من ضمن خططهم المستقبلية، وخصوصاً بعد إخضاع مملكتي جورجيا وأرمينية الصغرى المسيحيتين لسلطتهم .

ب – رغبة البابوية الاستفادة من إمكانات المغول وقدراتهم القتالية، وتوجيهها باتجاه المشرق الإسلامي، لتحقيق ما عجزت حروبهم الصليبية عن تحقيقه.

2 - تسليط الضوء على ظاهرة ابتعاد الكنيسة عن دورها الديني، الكامن في الإشراف على الكنيسة، وإدارة شؤون المسيحيين، وتفرغها لفكرة شن الحروب.

3 - توضيح طبيعة العلاقة بين المغول والأوروبيين في تلك الحقبة والتي ظهرت من خلال المراسلات بين الطرفين؛ إذ لم تكن نظرة المغول إلى الأوروبيين نظرة الند للند، وإنما كان عليهم أن يعلنوا الولاء والطاعة لهم.

4 - ردود الفعل في العالمين العربي والإسلامي على هذا المشروع، الذي كان يرغب في تطويقهم والقضاء عليهم. والتساؤل هنا: هل تم اتخاذ أي إجراء منهما لمنع قيام هذا التحالف، أم أن الصراعات التي كانت تنحر دوماً في جسم هذين العالمين قد ألهتهم عن هذا الخطر المحدق بهم، كما ألهتم عن اتخاذ أي خطوة في سبيل الاجتياح المغولي، الذي دمر بلادهم، وقضى على خلافتهم؟

5 - توضيح الأسباب الكامنة وراء استقبال المغول لهذه البعثات وعدم قتل رسلهم، وهم الذين اعتادوا على ذلك، فهل كان المغول يرغبون في هذا التحالف، أم كانت هناك أسباب أخرى؟ يبدو أن المغول بدورهم أرادوا استغلال الأوروبيين والضغط عليهم لإشعال جبهة بلاد الشام في الوقت الذي كانوا يعتزمون هم مهاجمة بغداد وبالتالي يشتتون جبهة المسلمين ويحققون ما يصبون إليه .

6 - الهزيمة التي مني بها لويس التاسع في حملته الصليبية السابعة جعلت الحاجة ملحة أكثر إلى قيام مثل هذا التحالف. فعلى الرغم من الاستعداد الكبير الذي قام به لويس لإنجاح حملته هذه، إلا إن مصيرها كان الإخفاق. لذلك أدرك لويس أن أمله الوحيد في الانتصار على المسلمين هو التحالف مع المغول.

منهجية البحث

سيعتمد البحث في جمع المادة العلمية على المصادر والمراجع المناسبة ونقدها وتحليلها ومقارنتها مع بعضها وفقاً لمنهجية تحليلية؛ وذلك لمعرفة الأسباب والأبعاد الحقيقية لمحاولة التحالف المغولي البابوي والغاية منه أيضاً دراسة وتحليل للواقع الاسلامي، آنذاك ومدى انعكاسه على سير الاحداث.

وسيتم الاعتماد على العديد من المصادر والمراجع المناسبة التي ستغني البحث وتفسح مجالاً لتقدم رؤية جديدة من خلاله.

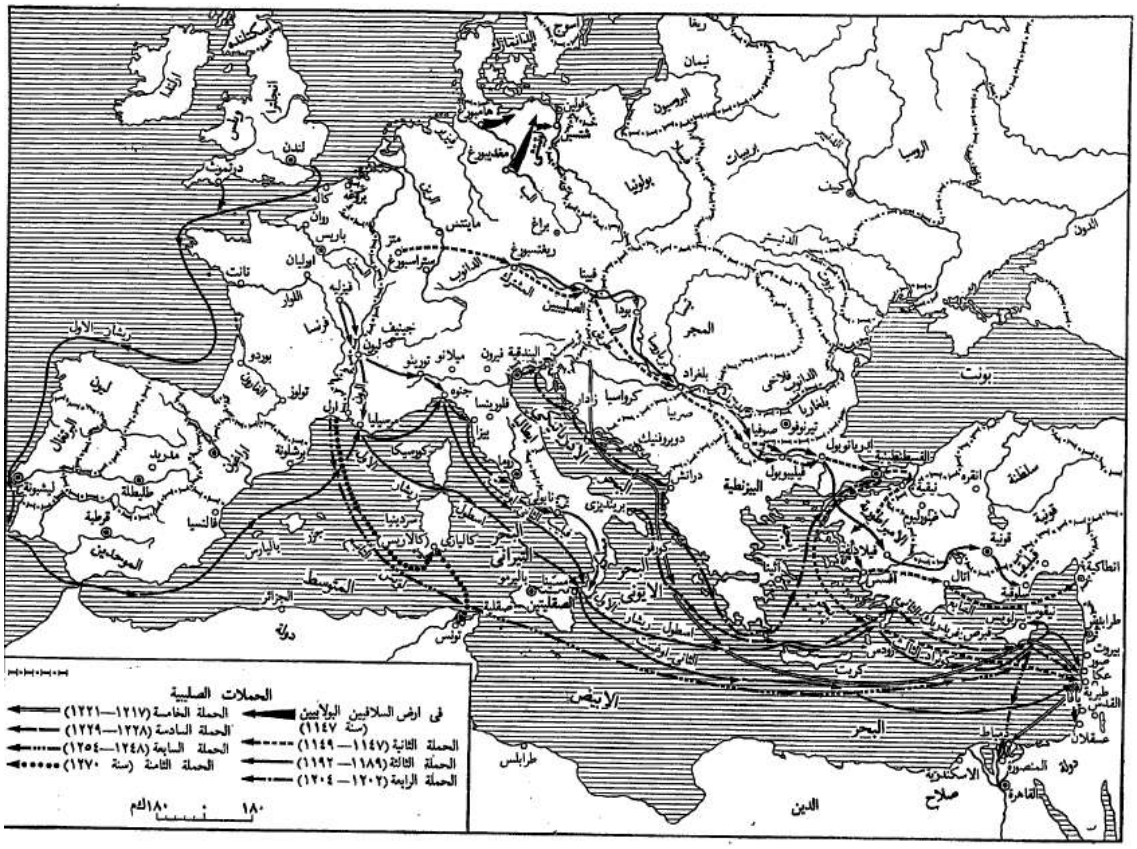

الشكل (1) أوروبا في بداية الحملات الصليبية

عن زابوروف، ميخائيل: *الصليبيون في الشرق*، ترجمة الياس شاهين،دار التقدم، موسكو، 1986م،ص354.

تمهيد

لم تمنع المجازر الوحشية التي ارتكبها المغول بحق النصارى في روسيا وبولندا وغيرها من البلدان المسيحية البابوية عن الاتصال بالمغول إن كان الهدف هو تطويق المشرق الإسلامي والقضاء عليه ويبدو أن عوامل كثيرة اجتمعت وجعلت أمر الاتصال بالمغول حقيقة واقعية فالإخفاقات التي منيت بها الحملات الصليبية المتتالية علي المشرق الإسلامي من ناحية وتفكك الغرب المسيحي من ناحية أخرى وعجزه عن تشكيل جبهة موحدة للوقوف في وجه هذا الخطر جعلت البابوية لا تتردد عن إرسال البعثات المتتالية لهذا الغرض والتي كان أولها :

أولاً : بعثة يوحنا الكاربيني: 643هـ / 1245م

في تاريخ 17 ذي القعدة عام 643هـ /16نيسان 1245م، وبتكليف من البابا أنوسنت الرابع، غادر يوحنا بيان دل الكاربيني ورفاقه مدينة ليون الفرنسية متجهاً إلى قراقورم عاصمة المغول. سارت البعثة سالكة طريق الشمال عبر بوهيميا وسيليزيا إلى كييف، ثم إلى سيراأردو، حيث المعسكر الامبراطوري للمغول، والذي يبعد مسيرة نصف يوم عن العاصمة قراقورم والتي وصلها في ربيع الأول عام 644هـ/1246م، حيث كان خاقان المغول أوكتاي بن جنكيزخان قد توفي، ووفقاً للقوانين المغولية كان على أعضاء البعثة أن ينتظروا اجتماع المجلس الوطني للتتار(الكورلتاي)، والذي تم

خلاله انتخاب كيوك بن أوكتاي خاقاناً جديداً للمغول. وبعد الانتهاء من مراسيم تعين الخاقان الجديد طلب من أعضاء البعثة المثول أمامه ليستمع إليهم(7).

بدأ يوحنا الكاربيني بقراءة خطاب البابا، والذي كتب بلهجة عنيفة تحمل في طياتها انتقاداً شديداً لقيام المغول بغزو الممالك المسيحية وتدميرها وقتل سكانها ويطلب منهم عدم تكرار هذه الاعتداءات، خصوصاً بحق المسيحيين والتكفير عن الخطايا السابقة لأنهم، إن لم يفعلوا، فإن الله سينزل عليهم عقابه في الدنيا والآخرة، وطلب منهم معاملة السفراء بشكل جيد، والتباحث معهم في المسائل التي تخص السلام بين الطرفين، وأنه على المغول إبلاغ البابا كتابة بالأسباب التي دفعتهم إلى تدمير الشعوب الأخرى. كذلك إحاطتهم علماً بنواياهم في هذا الشأن مستقبلاً. وأخيراً طلب البابا حماية أعضاء البعثة، وتزويدهم بالمؤن والضروريات، التي تمكنهم من العودة سالمين. ومن خلال هذه الرسالة توضحت الأهداف التي أرادت البابوية تحقيقها من هذه السفارة، والتي تمحورت حول النقاط التالية :

-الدعوة إلى إحلال السلام بين المسيحيين أنفسهم.

-الدعوة إلى اعتناق الديانة المسيحية.

-التساؤل عن سبب المذابح التي ارتكبها المغول ضد الرعايا المسيحيين البولنديين والمجريين والمورافيين .

-التساؤل عن نواياهم وخططهم المستقبلية تجاه العالم بشكل عام وأوروبا المسيحية بشكل خاص(8).

إن نظرة سريعة على هذا الخطاب وأهدافه، تبين بما لا يدع مجالاً للشك أن البابا أنوسنت الرابع (9) كان جاهلاً تماماً بطريقة تفكير المغول وأسلوب حياتهم ومعاشهم، وذلك من خلال مضمون هذا الخطاب الذي كتبه بلهجة انتقادية عنيفة، وكأن البابا يخاطب إحدى الدول الأوروبية الخاضعة لسلطته البابوية، على الرغم من أن الجميع آنذاك قد أدرك السياسة الحربية الهمجية، التي اتبعها المغول تجاه جميع الشعوب والحضارات، التي مروا بها وحجم المذابح التي ارتكبوها بحقهم، فقد بدا واضحاً للجميع أن هدفهم إخضاع العالم لمشيئتهم لأنها برأيهم هي مشيئة الرب، فبدل أن يكون خطاباً دبلوماسياً يحاول من خلاله جذبهم إلى المسيحية، كان خطاباً تهجمياً، انتقد أعمالهم، ودعاهم مباشرة إلى اعتناق دين جديد لا يعلمون عنه شيئاً. بل ذهب أبعد من ذلك إذ طلب منهم التكفير عن خطاياهم؛ لأنهم إن لم يفعلوا ذلك، فإن الرب سينزل عليهم عقابه في الدنيا والآخرة ويبدو أن البابوية قد اعتادت على هذه اللهجة التسلطية في

---

(7) يوسف ، جوزيف : *العدوان الصليبي على بلاد الشام (هزيمة لويس التاسع في الأراضي المقدسة)* . دار النهضة، بيروت،1981م، ص258،259. الحايك، منذر: *العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية*،الأوائل،ط1، دمشق ،2006م ، ص30.أمين ، محمد : *الغزو المغولي لديار الإسلام* ، الأوائل ،ط1 ، دمشق ، 2005م ، ص 163. طقوش، محمد: *تاريخ المغول العظام والإيلخانيين*، دار النفائس،ط1 ، 2007م، ص115،116 . عمران: *المغول وأوروبا*، ص221،222.

Atiya, A, S, the Crusade in the later Middle Ages . London. 1938.P.238

Howorth, H , History of the Mongols from the 9 th. To the 19 th century. 4parts in 5 vols .London, 1927, I, 162,Iv,93.

Sykes, Sir Percy : the Quest for Cathay. London. 1936. Pp. 93- 98

(8) هلال. *العلاقات بين المغول وأوروبا* . ص 61.عمران: *المغول وأوروبا* ،ص221،222.الخالدي،اسماعيل: *العالم الإسلامي والغزو المغولي* ، مكتبة الفلاح،ط1، الكويت،1404هـ / 1984م، ص177،178. طقوش: تاريخ المغول، ص 116.

(9) أنوسنت الرابع: تولى عرش البابوية بعد وفاة البابا جريجوري التاسع وذلك سنة 1243م واستمر في منصبه حتى وفاته عام 1254م دخل في صراع مع الامبراطور فريدريك حيث عزله من منصب الامبراطور وجدد قرار الحرمان بحقه(عمران: *المغول وأوروبا*. ص144،145).

تعاملها مع الدول الأوروبية، ولم تكن علاقاتها مع دول وملوك أوروبا لتخرج من هذا السياق، فقد عملت جاهدة طوال القرون الوسطى على ترسيخ سلطتيها الدينية والزمنية محتكرة القرارين السياسي والديني، ومسيطرة بذلك على كافة مناحي الحياة في أوروبا وهذا إن دل على شيء فهو يدل على حجم التشابه في كلا السياستين المغولية والبابوية، فكلاهما أراد إخضاع العالم لمشيئته، وخاضا في هذا المجال حروباً لا مبرر لها سوى القتل والدمار؛ فالبابوية خلال شنها لما سمي بالحروب الصليبية لم تكن أقل وحشية وهمجية من المغول.

المهم في الأمر أن اللهجة الاستعلائية التي تضمنها الخطاب أثارت انزعاج الخاقان، وهي لهجة لم يتعود المغول عليها، وهم الذين يعدون أنفسهم حكام العالم وسادته، لذلك أمر الخاقان بأن يوضع أعضاء البعثة بمكان أشبه بالسجن، حيث حرموا من الطعام والشراب لولا أن قدم لهم أحد الروس، الذين يعملون في خدمة المغول، الطعام خفيةً، وهذا ما دفع يوحنا الكاربيني إلى القول:

" **الخاقان كان يود إعلان الحرب على العالم الغربي في اليوم التالي لمقابلته لمعرفته فحوى خطاب البابا** (10)"

إذاً، كان للطريقة التي ألقي بها الخطاب انعكاساتها السلبية على الهدف الأساسي للبعثة فقد جاء الرد المغولي مخيباً للآمال؛ إذ طلب الخاقان من البابا وملوك أوروبا أن يحضروا بأنفسهم ليقدموا فروض الولاء والطاعة، ويؤدوا له الجزية عن رعاياهم (11) وعلى الرغم من إخفاق هذه البعثة إلا أن أهميتها تأتي من الأسباب التالية:

1 - البعثة الأوروبية الأولى، التي تصل إلى العاصمة المغولية قراقورم.

2 - أنها المرة الأولى التي يتم بها احتكاك مباشر بين المغول وأوروبا، وتبادل للمعلومات بصورة علنية ومكتوبة.

3 - قدمت معلومات عن حياة المغول ونظمهم الاجتماعية ومعتقداتهم الدينية وشرائعهم، واطلعت على جيوشهم وخططهم الحربية وأسلوب حكمهم للبلاد التي يحتلونها.

4 - قدمت معلومات جغرافية وتاريخية عن مناطق في وسط آسيا وشرقها، لم تكن معروفة للغرب الأوروبي.

5 - وضعت الأسس الأولى للاتصالات التجارية والدينية المستقبلية بين المغول والغرب.

ثانياً- بعثة أندريه لونجومو: 643هـ -1245 م

في عام 643هـ / 1245 م وبتكليف من البابا أنوسنت الرابع سار أندريه لونجومو على رأس مجموعة من الرهبان الدومنيكان، محملاً برسائل عدة لقادة المغول في ايران وآسيا الصغرى، وللأمراء المسلمين في بلاد الشام والعراق وايران، وكانت فحوى هذه الرسائل الدعوة إلى اعتناق الديانة النصرانية على المذهب الكاثوليكي.

يضاف إلى ذلك الرسائل الأخرى إلى رجال الدين النساطرة و اليعاقبة الأرثوذكس، تدعوهم فيها للانضواء تحت لواء البابوية. توجهت البعثة أولاً إلى بلاد الشام، وبعد أن قامت بتسليم الرسائل إلى كلاً من الصالح اسماعيل صاحب بعلبك (12)، والمنصور ابراهيم صاحب حمص (13).

---

(10) شبولر، بارتولد: *العالم الإسلامي في العصر المغولي والأحلاف الصليبية المغولية* . ترجمه وقدم له: سهيل زكار ، كتاب قيد النشر، ص267. طقو ش: *تاريخ المغول*. ص116. هلال. *العلاقات بين المغول وأوروبا*. ص63.

(11) طقوش: *تاريخ المغول*،ص116هلال: *العلاقات بين المغول وأوروبا* ، ص63. الخالدي:*العالم الإسلامي*. ص178.

وليس المهم في هذا السياق تسجيل مدى الإخفاق أو النجاح الذي حققته هذه البعثة مع الأمراء المسلمين (14). ولكن المهم أن لونجومو اتجه بعد ذلك إلى غرب آسيا للقاء القائد المغولي بايجو نويان وتسليمه رسالة من البابا. إلا أن أمله في ذلك قد خاب. فما كان منه إلا أن سلم رسالة البابا إلى قائد أحد الجيوش المغولية في ضواحي مدينة تبريز طالباً منه أن تصل إلى القائد بايجو، أو إلى الخان الأعظم في قراقورم. والراجح أن هذه الرسالة لم تصل إلى أي منهما. أكمل أندريه مهمته فالتقى بأسقف النساطرة في تبريز (سيمون) المعروف باسم ريان عطا، ويبدو أن لقائه معه كان مثمراً، إذ قدم له الأخير معلومات قيمة عن خطط المغول لغزو العالم، وبعد ذلك عاد أندريه إلى مدينة ليون الفرنسية عام 645هـ / 1247م لمقابلة البابا واطلاعه على تفاصيل هذه البعثة (15) التي يبدو بأنها لم تحقق أي شي جديد في إقناع المغول بالدخول بالمسيحية.

ثالثاً – بعثة أنسلم آسيلين(بعثة آسكلين) 645هـ – 1247م

في عام 645هـ /1247م وبتكليف من البابا أنوسنت الرابع، غادر أنسلم آسيلين (16) مع مجموعة من المبشرين الدومنيكان مدينة ليون الفرنسية، قاصداً المعسكر المغولي في آسيا الغربية، وهذه البعثة هي البعثة الثانية بعد بعثة أندريه لونجومو، التي توجهت إلى منطقة الشرق الأدنى أما عن غرض البابا من إرسال هذه البعثة إلى المكان نفسه، فيعود لعدة نقاط :

1 -الخوف من فشل أندريه في الوصول إلى المغول من جهة الشمال، وبالتالي عدم وصول خطابات البابوية إلى خاقانات المغول. لذلك تم إرسال آسيلين عن طريق أقل خطورة لضمان وصول هذه الخطابات .

2 -خوف البابا من سيطرة المغول على أملاك الصليبيين ومواقعهم في الأراضي المقدسة، لا سيما بعد إخضاع مملكتي جورجيا وأرمينية الصغرى المسيحيتين. لذلك تم إرسال هذه البعثة ليضمنوا التفاهم مع المغول قبل الهجوم على أملاكهم .

3 -توحيد الكنائس الشرقية تحت لواء البابوية.

4 -جمع معلومات عن خطط المغول وأهدافهم في غرب آسيا.

---

(12) الصالح اسماعيل: هو الصالح عماد الدين اسماعيل ابن العادل كان والده قد ولاه حاكماً على بصرى ، وقد أوصى أخاه الأشرف موسى صاحب دمشق قبل وفاته أن يخلفه في حكم دمشق إلا أن أخاه الكامل عزل الصالح اسماعيل عن دمشق وأعطاه إقطاعاً صغيراً في بعلبك والبقاع(طقوش، محمد: *تاريخ الأيوبيين في وبلاد الشام وإقليم الجزيرة* ،دار النفائس،ط1،بيروت،1420هـ/1999م،ص329).

(13) المنصور ابراهيم: هو ناصر الدين الملك المنصور بن أسد الدين شيركوه الثاني ولد سنة 624هـ/ 1227م تولى حكم حمص سنة 637هـ/ 1246م واستمر في حكمها حتى وفاته سنة 644هـ/ 1246م، وخلفه في حكم حمص ابنه الأشرف مظفر الدين موسى(طقوش. *تاريخ الأيوبيين*. ص360)

(14) طقوش. *تاريخ المغول*. ص117. هلال .*العلاقات بين المغول وأوروبا*. ص67،68.عمران . *المغول وأوروبا* . ص225.

(15) طقوش: *تاريخ المغول*. ص118. عمران: *المغول وأوروبا* . ص225،226.

(16) أنسليم آسيلين: هو مطران كانتوربري كان رجل علم ودراسة ألف كتباً كثيرة في اللاهوت ، وعمل على دعم معطيات الإيمان بحجج العقل. هو أول من طبق في العصر الوسيط الجدل في أمور الإيمان ،ويقول إن الإيمان في جوهره لايعفي من فهم العقائد ولا من فهم الكتاب المقدس (حاطوم. نور الدين: *تاريخ العصر الوسيط في أوروبا من أواخر العصر الروماني إلى القرن الثاني عشر*، دار الفكر ، دمشق، 1402هـ/ 1982م، ص905)

5 - حث المغول على اعتناق المسيحية على المذهب الكاثوليكي (17).

سارت البعثة، إذاً، من مدينة ليون الفرنسية إلى تفليس عبر أرمينية وجورجيا ثم سورية وفارس وصولاً إلى المعسكر المغولي في آسيا الغربية الذي كان يرأسه القائد بايجو نويان، وهناك اجتمعوا معه. لم يكن هذا الاجتماع ودياً منذ البداية بسب رفض أعضاء البعثة الركوع أمام القائد المغولي كما جرت العادة عندهم؛ لأن ذلك برأيهم لا يليق برسل البابا الذي يمثل الأب الأعلى لكل المسيحيين على الأرض. يضاف إلى ذلك عدم إحضارهم أي هدايا معهم كما هي عادة السفراء، وهذا ما أثار حفيظة بعض القواد، الذين طالبوا بإعدامهم، ولم ينقذهم من هذا المأزق سوى وصول رسول من الخاقان الأعظم، يأمر بايجو بمعاملتهم بشكل جيد، وأن يرسل بصحبتهم رسولين من قبل المغول يحملان رداً مشابهاً لردهم على بعثة يوحنا الكاربيني والذي تتضمن مثول البابا وملوك الغرب الأوربي أمام الخاقان الأعظم، وتقديم فروض الولاء والطاعة (18). إلا إن هدف الخاقان من إرسال الرسولين لم يكن إيصال رسالة تم إيصالها سابقاً حول ضرورة خضوع البابا للخاقان، وإنما كان هدفه تحقيق غايتين أساسيتين:

الغاية الأولى: التجسس وجمع المعلومات حول قوة البابا والدول الغربية وبناءً على تلك المعلومات يحدد موقف المغول منهم .

الغاية الثانية: تشجيع البابا على إشغال جبهة بلاد الشام، في نفس الوقت الذي يقوم فيه المغول بمهاجمة بغداد. وبذلك يشتتون جبهة المسلمين فلا تستطيع جبهة الشام مساعدة جبهة بغداد.

ويبدو أن المغول أخذوا يفكرون بالطريقة نفسها، التي يفكر بها الأوروبيين؛ إذ أرادوا استغلالهم لتحقيق غاياتهم في حروبهم مع المسلمين.

عادت البعثة إلى ليون في رجب 646هـ/ تشرين الأول 1248م بعد أن منيت بالإخفاق نفسه التي منيت به بعثة يوحنا الكاربيني؛ إذ لم تنجح هذه البعثة أيضاً في إقناع خاقان المغول بالتحول إلى المسيحية. بل إن الرد المغولي بوجوب تقديم البابا وملوك أوروبا فروض الطاعة والولاء للخاقان، قد أحبط البابا أنوسنت الرابع، ورأى أن مخططاته بتحويل المغول إلى المسيحية لا يمكن تحقيقها، وأن قيام تحالف مغولي – أوروبي شيء بعيد المنال.

وجلَ ما نتج عن هذه الرحلة أنها أنارت الطريق لسفارات لاحقة بين الطرفين، والتي سوف تترجم من خلال السفارات بين خاقانات المغول والملك لويس التاسع (19).

---

(17) الحايك *: العلاقات الدولية*،ج2،ص30. هلال: *العلاقات بين المغول وأوروبا* ، ص 68،69. الخالدي. *العالم الإسلامي* ، ص178. عمران: *المغول وأوروبا*، ص 224.

Atiya, the Crusade in the later Middle Ages .P.239

(18) شبولر : *العالم الإسلامي* ، ص 276،277. طقوش: *تاريخ المغول* ، ص 118. الحايك:*العلاقات الدولية. ج 2، ص30،31. هلال: العلاقات بين المغول وأوروبا. ص69،70 . عمران: المغول وأوروبا، ص224. جوزيف: العدوان الصليبي*، ص260،261.

Atiya; the Crusade .P.239-240-241

(19) شبولر: *العالم الإسلامي*،ص278.طقوش تاريخ المغول118،119. جوزيف: *العدوان الصليبي*، ص264،265،266،. هلال:*العلاقات بين المغول وأوروبا* . ص70،71.

Atiya;the Crusade .P.239-240-241

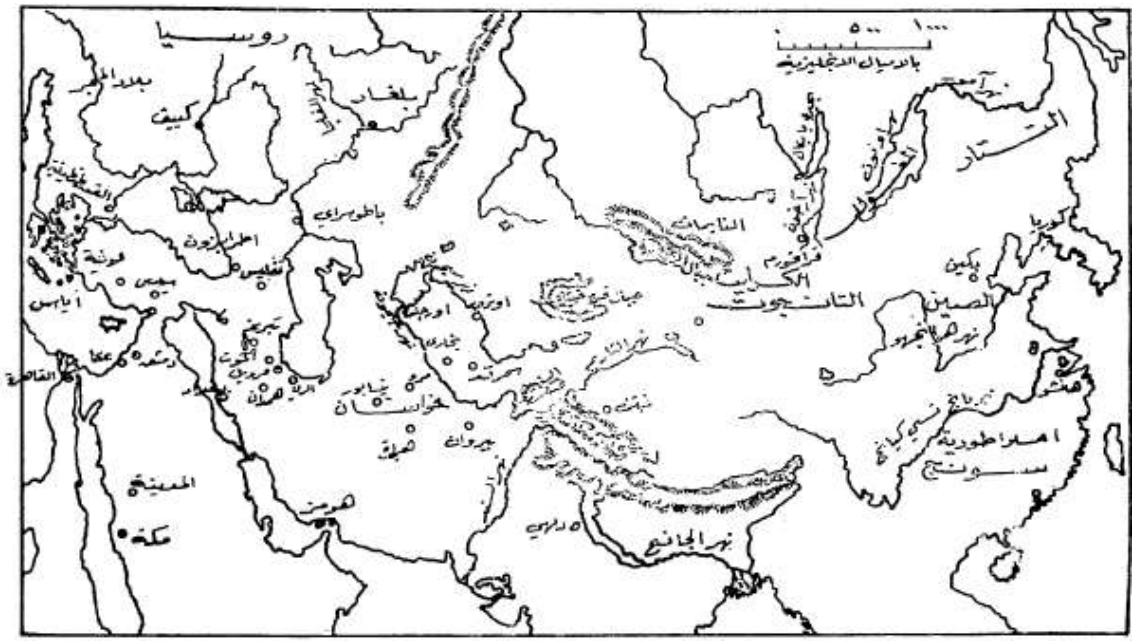

الشكل (2) امبراطورية المغول في أقصى اتساعها

عن البار، محمد: *كيف أسلم المغول*، دارالفتح للدراسات والنشر،ط1،الأردن،1429هـ/2008م،ص76.

رابعاً– السفارات بين لويس التاسع والمغول

عزمت البابوية، في إطار حروبها الصليبية ضد العرب المسلمين، على القيام بحملتها الصليبية السابعة تحت قيادة ملك فرنسا لويس التاسع، واتفق الجميع على أن تكون وجهتها مصر؛ لما لها من أهمية استراتيجية، حتى قيل فيها: إن مفتاح بيت المقدس في مصر، فمن يريد بيت المقدس فعليه بمصر.

وبناءً عليه انطلقت الحملة من باريس في 10 ربيع الآخر عام 646هـ / 2آب عام 1248م متجهة إلى قبرص، وهناك اتخذ القرار بالبقاء أشهراً عدة نظراً للظروف المناخية السيئة؛ إذ لن تلبث أن تهب العواصف الشتوية ويصبح من الخطر الاقتراب من الدلتا بسبب كثرة العواصف الرملية.

وفي أثناء ذلك، وصل مبعوثان نسطوريان (20) هما: داود ومرقص، موفدين من قبل ايلجكتاي (21) قائد جيش المغول في إيران، يحملان رسالة إلى الملك الفرنسي (22).

---

(20) النساطرة: أتباع الكنيسة النسطورية التي تأسست على يد البطريرك السرياني نسطوريوس والذين يقولون بالطبيعتين للسيد المسيح عليه السلام آلهية وناسوتية (بشرية) (فرزات ، محمد: *مدخل إلى تاريخ فارس وحضارتها القديمة قبل الإسلام*، ط1،جامعة دمشق،1989،ص160).

(21) ايلجيكتاي: هو ثاني أكبر أولاد جنكيزخان والذي اختص بإقليم ما وراء النهر وتركستان الشرقية منذ عام 1227م واستمرت سلالته في حكم هذا الإقليم حتى سنة 1370م(عمران: *المغول وأوروبا*، ص70)

(22) جوانفيل، جين: *حياة القديس لويس، الموسوعة الشامية* . تحقيق: سهيل زكار، دمشق، 1419هـ/ 1999م ج 35 ، ص55،56،58 . مؤرخ ، مجهول: *تتمة وليم*، ص140،141،145،146. عبد الحكيم ، منصور: *هولاكو مارد من الشرق مدمر العالم قديماً وحديثاً* ، دار الكتاب العربي ،ط1 ،القاهرة ، 2008م ، ص 214. أمين : *الغزو المغولي لديار الإسلام* . ص165.جوزيف: *العدوان الصليبي*.ص262. هلال : *العلاقات بين المغول وأوروبا*. ص71،73.الخالدي: *العالم الإسلامي* ، ص179.

وقد اختلفت أراء المؤرخين في مضمون هذه الرسالة، قال بعضهم: إنها دعوة إلى التعاون العسكري بين المغول والصليبيين بهدف تطويق العالم الإسلامي، وتشتيت قواه، والقضاء عليه. فقد كان المغول يخططون في إطار تكوين إمبراطوريتهم وإخضاع العالم إلى مهاجمة الخلافة العباسية؛ إذ كانوا يدركون مدى الضعف الذي وصلت إليه. إلا أنهم في الوقت نفسه كانوا مدركين بأن مصر زعيمة العالم الإسلامي لن تقف مكتوفة الأيدي وأنها لا بد أن تتصدى لهم.

لذلك وجد المغول أن أفضل وسيلة لضمان نجاحهم في إسقاط الخلافة والسيطرة على المشرق العربي الإسلامي هي بالتعاون مع الصليبيين، وخصوصاً أنهم قد سمعوا بلويس التاسع وحملته الصليبية السابعة، التي كان هدفها تحرير بيت المقدس من خلال الهجوم على مصر فالجميع كان يدرك بأن من أراد السيطرة على بيت المقدس عليه بمصر. وبالتالي كان هدف هذه البعثة التنسيق بين الجانبين، فيهاجمون هم بغداد في الوقت الذي يهاجم فيه الصليبيون مصر. وبذلك تنصرف مصر عن مساعدة الخلافة العباسية، ما يسهل عليهم أمر بغداد والاستيلاء عليها (23).

أما بعض الكتاب فقد رأى بهذه الرسالة إقراراً من خاقانات التتر بتحولهم إلى المسيحية، في محاولة منهم لاستغلال هذه الرسالة في رفع معنويات الأوروبيين، وتشجيعهم دعم الحملة الصليبية.

المهم في الأمر أن لويس استقبل السفارة بحفاوة كبيرة، ورأى في ذلك فرصة كبيرة أراد استغلالها، ومتابعة ما بدأه أنوسنت الرابع في التقرب إليهم والتحالف معهم، وفي سبيل ذلك عمل على منحيين :

أولهما ديني: فقد وضع لويس في أولوياته إقناع المغول وتحويلهم إلى المسيحية .

وثانيهما عسكري: وذلك بالتحالف معهم والعمل على استغلالهم في حملته المقبلة إلى المشرق العربي.

وبناءً على ذلك أعد لويس سفارة مؤلفة من ثلاثة رجال دين هم:أندريه لونجومو ،وأخوه غي، ويوحنا كاركاسون(24).

انطلقت السفارة من قبرص متجهة إلى انطاكية، ثم إلى الموصل وصولاً إلى تبريز، حيث معسكر إيلجيكتاي، قائد جيش المغول في فارس. وفي أثناء ذلك، توفي كيوك خاقان المغول، ولم يعد بإمكان ايلجيكداي اتخاذ أي موقف تجاه البعثة. لذلك رأى أنه من الصواب أن يوجه البعثة إلى العاصمة قراقورم، حيث كانت قلقيمش أرملة كيوك خان بن قد اختيرت وصية على العرش ريثما يتم انتخاب خاقان جديد للمغول، وسرعان ما تم اختيار منكو بن تولوي لهذا المنصب وذلك سنة 649هـ/ 1251م، فعمل على استغلال هذه السفارات لتثبيت حكمه، سيما وأن عدداً من الملوك لم

Mayer, Hans Eberhard: The Crusades, Oxford University Press, 1988.

(23) مؤرخ،مجهول : *تتمةوليم*. ص146،147. طقوش : *تاريخ المغول*. ص 120. أمين :*الغزوالمغولي*. ص165،166،167. جوزيف: *العدوان الصليبي*،ص 263،264. عمران : *المغول وأوروبا*، ص228 .

Atiya: the Crusade .p 242

(24) جوانفيل: *حياة القديس لويس*، ج35 ، ص 58،59. مؤرخ، مجهول: تتمة وليم ، ص146،147. الحايك: *العلاقات الدولية*،ج2،ص32. طقوش: *تاريخ المغول*. ص 120.جوزيف: *العدوان الصليبي*. ص265،266. هلال: *العلاقات بين المغول وأوروبا*. ص73،74 .الخالدي: *العالم الإسلامي*، ص179.

Atiya, the Crusade in the later Middle Ages.P 242-243

يكونوا قد أعلنوا خضوعهم له (25). وهذا ما أكده جوانفيل الذي قال بأن خاقان المغول دعا إليه الملوك والأمراء الذي لم يكونوا قد أعلنوا خضوعهم له بعد، وأقام الكنيسة الصغيرة، التي كان قد أحضرها رسل لويس أمامهم، وخاطبهم قائلاً:

" **أيها السادة، لقد بعث ملك فرنسا يلتمس عطفنا، ووضع نفسه تحت طاعتنا، ويمكنكم أن تروا هنا الجزية التي أرسلها لنا، وإذا لم تخضعوا بأنفسكم لنا سوف أرسل إليه ليقوم بتدميركم تحت رحمتنا، فسنبعث في طلبه للقضاء عليك**م " (26)

إن القاء نظرة على ما قاله الخاقان المغولي يؤكد، بما لا يترك مجالاً للشك بأن نظرة المغول إلى هذه السفارة نظرة من يقدم فروض الولاء والطاعة، وبأن هذه الهدايا التي جاؤوا بها لا تتعدى كونها ضريبة ملزمين بتقديمها، كما يفعل غيرهم من الملوك والأمراء. وهذا ما تأكد من خلال رد الخاقان على هذه السفارة؛ إذ سمح للرسل بالعودة، وأرسل بصحبتهم رسلاً من قبله ومعهم رسالة، يطالبون بها لويس بتقديم الهدايا، ومبلغاً معيناً من المال يُعطى سنوياً، كسباً لصداقته، وضماناً لإقرار الصداقة بينهما، وإلا فالحرب. وهكذا أخفقت البعثة دينياً وعسكرياً، دينياً في جذب المغول إلى المسيحية، وعسكرياً في قيام حملة مشتركة ضد المسلمين (27)، إلا أن الإخفاق الذي منيت به البعثة لم يؤثر على معنويات لويس، الذي أصر على معاودة الاتصال بالمغول، ويبدو أن عوامل عديدة اجتمعت وجعلت الاتصال بالمغول حاجة ملحة، وضرورة اقتضتها الظروف الجديدة، وأهم هذه العوامل :

1 – إن فكرة تحويل المغول إلى المسيحية أصبح هاجساً يقض مضجع السلطتين الدينية (البابا)، والسياسية (الملك)، لما يترتب على ذلك من نتائج، تعد غاية في الأهمية بالنسبة للغرب بشكل عام والبابوية بشكل خاص.

2 – إخفاق لويس في حملته الصليبية السابعة على الرغم من تلك الاستعدادات الكبيرة والوفود الكثيرة التي شاركت في هذه الحملة.

3 – ظهور المماليك كقوة جديدة؛ إذ أقاموا دولتهم على أنقاض الدولة الأيوبية، وامتلكوا من القوة والعزيمة، ما ألحق بلويس وجيشه الهزيمة. لذلك عمل على معاودة الاتصال بالمغول، لعله يستطيع تقريب وجهات النظر وإقناعهم بفكرة التحالف معهم بعد أن أدرك عجزه عن مواجهة المماليك الجدد، فكانت بعثة وليم روبروك(28).

---

(25) جوانفيل: *حياة القديس*، ج35 ، ص174،175. مؤرخ، مجهول: *تتمة وليم*. ص148،149. أمين : *الغزو المغولي*. ص 167. طقوش: تاريخ المغول، ص 121.جوزيف: *العدوان الصليبي*،ص 267. هلال :*العلاقات بين المغول وأوروبا* . ص74. عمران : *المغول وأوروبا* ، ص229،230.

(26) جوانفيل: *حياة القديس لويس*، ج35 ،ص 181.

(27) جوانفيل: *حياة القديس لويس*،ج35، ص181.الحايك: *العلاقات الدولية*، ج2،ص32. أمين: *الغزو المغولي*، ص 168. هلال: *العلاقات بين المغول وأوروبا* ص74. الخالدي: *العالم الإسلام*، ص179. عمران. *المغول وأوروبا*. ص230،231.

(28)أمين: الغزو المغولي، ص168،169. جوزيف: *العدوان الصليبي*. ص269،270.الخالدي:*العالم الإسلامي* . ص179. عمران :*المغول وأوروبا* . ص231.

خامساً- بعثة وليم روبروك: 650هـ - 1253م

انطلقت البعثة سنة 650هـ / 1253م، من قيسارية عبر القسطنطينية إلى شبه جزيرة القرم، ثم عبر جبال الأورال وصولاً إلى العاصمة قراقورم. كان أول اتصال لروبرك بالمغول عند نهر الفولجا(29)، حيث التقى هناك بأحد خانات المغول يدعى سارتاك(30)0وقد قيل بأن سارتاك هذا قد اعتنق المسيحية، فرأى روبروك في ذلك فرصة، إذ تقدم إلى سارتاك وسلمه خطاب الملك لويس، وطلب منه السماح بالبقاء في بلاد المغول للدعوة إلى المسيحية. لم يتحمل سارتاك مسؤولية ذلك، وقال له إن أراد الحصول على هكذا تصريح، فعليه أن يذهب إلى أبيه باتوخان (31).

وبناءً على ذلك، اتجه روبروك قاصداً معسكر باتوخان على الضفة الشرقية لنهر الفولجا، وهناك التقى باتوخان، الذي ما أن أذن له بالكلام حتى سجد على ركبتيه، وأخذ يحث باتوخان على اعتناق المسيحية، ثم طلب منه الإذن بالبقاء في بلاده للتبشير بهذا الدين. وعندما سأله باتوخان عن الدافع من وراء قيام لويس بحملته، أجابه بأن هدفه هو الإستيلاء على الأراضي المقدسة من أهلها المسلمين، وأنه يأمل تعاون جيشهما في حملة مشتركة لتحقيق ذلك. وبعد أن أنهى روبروك خطابه، لم يتلق جواباً من باتوخان بشأن السماح له بالبقاء في البلاد، وإنما طلب منه التوجه إلى منكوخان خاقان المغول؛ إذ إنه المفوض بإعطائه مثل هذا التصريح (32). وهنا أدرك روبروك بأنه أمام رحلة شاقة، وهي الوصول إلى قراقورم. فغادر بلاط باتوخان متجهاً شرقاً. وبعد رحلة استمرت ثلاثة أشهر وصل إلى بلاط منكوخان. لم يسمح لروبروك بمقابلة منكوخان مباشرة، إذ استجوب أولاً من قبل خاقان المغول، وعندما سمح له بمقابلة منكوخان سأله عن سبب مجيئه، فأجابه روبروك بأنه مبعوث من قبل ملك فرنسا لويس التاسع، بهدف نشر المسيحية بين المغول، والتمس منه الأذن بالمكوث في بلاده لهذه الغاية. وعلى الرغم من أن الخاقان لم يعر أي أهمية لكلامه، إلا أنه أذن له بالبقاء عدة أشهر في البلاد إلى حين انقضاء موجة البرد؛ إذ كان الوقت شتاءً. وبعد أن أمضى روبروك الشتاء هناك، عاد محملاً برسالة من قبل الخاقان إلى لويس، لا تختلف في معناها عن الخطابات التي وجهها خانات المغول إلى البابوية سابقاً وفيها يدعو الملك الفرنسي إلى تقديم فروض الولاء والطاعة (33).

---

(29) نهر الفواجا: هو أكبر وأطول نهر في أوربا طوله 3,690 كم أخذ اسمه من بلدة volga الواقعة عند مصبه ينبع من فالداي من شمال غرب موسكو ثم يتجه إلى الشرق وصولاً إلى مدينة كازان يصب في بحرقزوين(الخالدي: *العالم الإسلامي*، ص179).

(30) سارتاك : هوابن باتو بن جوجي بن جنكيزخان و يقال أنه كان ميالاً للدين المسيحي على الرغم من أنه لم يكن مسيحياً(شبولر: *العالم الإسلامي*، ص50)

(31) باتوخان: هو ابن جوجي بن جينكيزخان مؤسس دولة مغول القفجاق الذي قام بإخضاع جنوبي روسيا وبولندا واستولى على بودابست سنة639هـ / 1241م. حمدي: *الدولة الخوارزمية والمغول*. ص245،246).

(32) شبولر :*العالم الإسلامي*،ص283،286،287،288. أمين: *الغزو المغولي* ،ص 169،170. جوزيف : *العدوان الصليبي*. ص 271،272،273،274.الخالدي:*العالم الإسلامي*، ص180 .

Sykes, Sir Percy : the Quest for Cathay . p. 101. 106.
Atiya, the Crusade .p. 243.244

(33) شبولر :*العالم الإسلامي*، ص 298،300،316،317. أمين : *الغزو المغولي* . ص 169،170،171 .جوزيف : *العدوان الصليبي* . ص 274،275،276. هلال : *العلاقات بين المغول وأوروبا* ، ص 77.الخالدي: *العالم الإسلامي* . ص180عمران . *المغول وأوروبا* . ص233.

Sykes, Sir Percy : the Quest for Cathay. P .106- 110

وهكذا أخفقت هذه البعثة كما أخفقت سابقاتها من البعثات. أما أسباب هذا الإخفاق فتعود إلى:

1 – جهل الصليبيين بطبيعة المغول وبعاداتهم وتقاليدهم.

2 – اعتمادهم على إشاعات وكلام غير موثوق بشأن اعتناق بعض ايلخانات وحكام المغول المسيحية، والذي على مقتضاه قام هؤلاء ببعثتهم، ليتبين لاحقاً أن الأمر لا يتعدى حد الإشاعة .

3 – وصول تقارير إلى البابوية والغرب البابوي عن المعاملة الجيدة، التي كان المسيحيون يتلقونها من قبل ايلخانات التتر؛ إذ كانوا يزورون كنائسهم في المناسبات والأعياد، ولكن ما لم يصلهم بأن هذه المعاملة لم تكن تخص المسيحيين فقط، وإنما عاملوا المسلمين والبوذيين المعاملة نفسها، فقد اعتاد خانات المغول على حضور الاحتفالات الدينية الخاصة، ليس فقط بالمسيحيين، وإنما بالمسلمين والبوذيين. بل ذهبوا أبعد من ذلك، إذ ساروا على سياسة جنكيزخان بإعفاء جميع رجال الدين من أتباع هذه الديانات الثلاثة من الضرائب والمساواة بينهم، ومنحهم الحرية التامة في إقامة شعائرهم الدينية.

4 – الاختلافات الدينية بين أتباع المسيحية نفسها بين لاتين وإغريق ونساطرة وأرمن، فلم يتفق أصحاب هذه المذاهب لا في العقيدة ولا في طريقة التبشير، فكيف سيقنعون ايلخانات المغول بالمسيحية، وهم أنفسهم مختلفون فيما بينهم.

5 – الصراع بين البابوية والإمبراطورية شغل العالم الغربي وأضعف نفوذه، واستهلك قواه، وجعله عاجزاً عن اتخاذ خطوات أكثر أهمية في هذا الشأن ،الأمر الذي أدى في نهاية الأمر إلى إخفاق هذه البعثات سياسياً ودينياً .

إذاً، لم تفلح الجهود المضنية التي قامت بها الكنيسة لجذب المغول والتحالف معهم بهدف تطويق العالم الإسلامي والقضاء عليه، فقد كان ميزان القوى في تلك المرحلة لصالح المغول، ولم يكن بحاجة للتعاون مع الأوروبيين، أو التحالف معهم، فانتصاراتهم كانت كاسحة، وجيوشهم جرارة يعجز أي جيش عن الوقوف أمامها.

وبالتالي، اجتمعت عوامل من كلا الجانبين، أدت إلى إخفاق هذا التحالف. فكلاهما:

-ادعى السمو على الجانب الآخر والسيادة على العالم.

-وأنه ممثل السماء على الأرض، وأن قراراته لها صفة القداسة.

-وأنه وضع خططه وتصوراته على أساس استغلال الآخر، ففي الوقت الذي رأت البابوية في التحالف، فرصة لكسب المغول واتقاءً لشرهم، وذلك بتحويلهم إلى المسيحية والاستفادة منهم في ضرب العالم الإسلامي، أراد المغول بالمقابل الاستفادة من الأوروبيين أثناء هجومهم على بغداد، ففي الوقت الذي يهاجمون بغداد، يقوم الأوروبيون بالهجوم على مصر؛ لأن مصر، لابد أن تدافع عن العاصمة بغداد في وجه هؤلاء المغول، وفي حال هجوم الأوروبيين على مصر ستُشغل الأخيرة بالدفاع عن نفسها، عندئذٍ، يسهل على المغول اجتياح بغداد .

الاستنتاجات والتوصيات

لقد أظهرت محاولات التحالف بين الأوروبيين والمغول حجم الحقد الذي يضمره الأوروبيين للعالم الإسلامي بشكل عام، والعربي بشكل خاص، لدرجة لم يتردد هؤلاء في التحالف مع البربر الكفار، ولن يترددوا مستقبلاً عن التحالف مع أي قوة للغاية نفسها. الأمر الذي ترك أثراً سلبياً على الجانبين الأوروبي المسيحي، والعربي الإسلامي. وبناءً على ما تقدم تم التوصل إلى استنتاجات أهمها:

1 - عمقت هذه الاتصالات بين المغول والأوروبيين من حدة الخلافات بين العالمين العربي الإسلامي من جهة، والأوروبي المسيحي من جهة أخرى.

2 - بروز التشابه في السياستين الأوربية الصليبية والمغولية الوثنية؛ فكلاهما أراد إخضاع العالم لمشيئتهم، وخاض في هذا حروباً لا مبرر لها سوى القتل والدمار. فالبابوية، من خلال حروبها الصليبية، لم تكن أقل وحشية وهمجية من المغول.

3 - تسابق الطرفان المسيحي والإسلامي لجذب المغول إلى الإسلام؛ فنجاح أحد الطرفين في ذلك من شأنه أن يعطي زخماً كبيراً له.

4 - استخدام الدين وسيلة لتحقيق أهداف سياسية، فلم تكن غاية البابوية، أو لويس التاسع من هذه المراسلات التبشير بالمسيحية وهداية هؤلاء المغول، بقدر ما كانت تحقيق مصالح شخصية ومكاسب سياسية، عجزت الحروب الصليبية عن تحقيقها.

5 - إصرار الأوروبيين على القضاء على الإسلام والمسلمين، ولو اضطروا إلى التعاون مع المغول الوثنيين، ما جعلهم يتغاضون عن أعمالهم الوحشية التي ارتكبوها ضد المسيحيين في روسيا وبولندا مقابل كسبهم إلى جانبهم.

6 - تسليط الضوء على ظاهرة استهداف الإسلام من قبل الغرب عبر التاريخ. فالغرب، من خلال حروبه الصليبية، استهدف الإسلام، قتلاً وتدميراً وتشويهاً، ومازال يسعى إلى تلك الأهداف بطرق شتى كالغزو العراقي، وحروب يشعلها في مفاصل العالم العربي.

7 - تفوق قوة المغول على قوة الأوربيين وهذا ما جعل لأخيرين يرسلون البعثات لكسب ودهم وبالمقابل كان المغول يشترطون تقديم فروض الولاء والطاعة لهم .

المصادر

1 - ابن الأثير،علي بن أبي الكرم: *الكامل في التاريخ* ، راجعه وصححه :محمد يوسف ، ،دار الكتب العلمية، بيروت،ط2، 1415هـ / 1995م.

2 - جوانفيل، جين: *حياة القديس لويس ، الموسوعة الشامية*، تحقيق: سهيل زكار،دمشق،1419هـ/1999م.

3 - ابن خلدون، عبد الرحمن: *تاريخ ابن خلدون العبر ود يوان المبتدأ والخبرفي ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر* ، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ، لبنان، 1391هـ/1971م

4 - ابن العميد، جرجس: *أخبار الأيوبيين* ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،د.ت

5 - أبو الفداء، اسماعيل *: تاريخ أبي الفداء المختصر في أخبار البش* ، دار الكتب العلمية، ط1،بيروت ،1417هـ / 1976م.

6 - النسوي، محمد: *سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي* ، تحقيق: حافظ أحمد حمدي، ، دار الفكر العربي ، مصر، 1953م.

7 - مؤرخ، مجهول: *تتمة كتاب وليم الصوري والمنسوب خطا إلى روثلان* ، ترجمة:أسامة زيد زكي،1989م.

المراجع العربية

1 –أمين ، محمد: *الغزو المغولي لديار الإسلام* ، الأوائل،ط1 ، دمشق ، 2005م.

2 –باركر،ارنست : *الحروب الصليبية* ، ترجمة السيد الباز العريني، دار النهضة العربية ، بيروت،د.ت .

3 –البار، محمد: *كيف أسلم المغول*، دارالفتح للدراسات والنشر،ط1،الأردن،1429هـ/2008م.

4 –توفيق، عمر: *الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين* ، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1986م

5 – حاطوم، نور الدين: *تاريخ العصر الوسيط في أوروبا من أواخر العصر الروماني إلى القرن الثاني عشر. دارالفكر* ، دمشق، 1402هـ/ 1982م،

6 –الحايك ، منذر: *العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية*،الأوائل،ط1، دمشق ،2006م.

7 –حمدي، حافظ.: *الدولة الخوارزمية والمغول،غزو جنكيزخان للعالم الإسلامي وآثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية*، دار الفكر، مصر،1949م.

8 –الخالدي ، اسماعيل: *العالم الإسلامي والغزو المغولي* ، مكتبة الفلاح،ط 1 ، الكويت ، 1404هـ / 1984م.

9 –زابوروف، ميخائيل: *الصليبيون في الشرق*، ترجمة الياس شاهين،دار التقدم، موسكو،1986م.

10 شبارو، عصام : *تاريخ المشرق العربي الإسلامي* ،دار الفكر اللبناني،بيروت،1999م.

11 شبولر،بارتولد: *العالم الإسلامي في العصر المغولي والأحلاف الصليبية المغولية* . ترجمه وقدم له، سهيل زكار ، كتاب قيد النشر.

12 طقوش، محمد . *تاريخ المغول العظام والإيلخانيين*. ط1 ، دار النفائس ، 2007م.

13 طقوش، محمد: *تاريخ الأيوبيين في وبلاد الشام وإقليم الجزيرة*،دار النفائس،ط1،بيروت،1420هـ/1999م.

14 عبد الحكيم ، منصور: *هولاكو مارد من الشرق مدمر العالم قديماً وحديثاً* ،دار الكتاب العربي،ط1،القاهرة، 2008م .

15 العريني، السيد الباز: *الشرق الأدنى في العصور الوسطى (الأيوبيون)* ، دار النهضة العربية، بيروت ، 1386هـ / 1976م .

16 علي،علي : *المرأة المصرية والشامية في عصر الحروب الصليبية* ، المجلس الأعلى للثقافة ،د.م، 2002م .

17 عمران، محمود: *المغول وأوروبا* ، دار المعرفة الجامعية،د.ت.

18 فرزات ، محمد : *مدخل إلى تاريخ فارس وحضارتها القديمة قبل الإسلام*، ط1،جامعة دمشق،1989.

19 –نوري، دريد: *سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد مصر والشام والجزيرة* ، مطبعة الارشاد، بغداد ، 1976م.

20 هلال ، عادل : *العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي* ، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،د.م ، 1997م .

21 –يوسف ، جوزيف نسيم . *العدوان الصليبي على بلاد الشام (هزيمة لويس التاسع في الأراضي المقدسة)* ، دار النهضة، بيروت،1981م .

المراجع الأجنبية

1. ATIYA, A. S. *the Crusade in the later Middle Ages*. London, 1938.

2. HOWORTH, H. *History of the Mongols from the 9 th. To the 19 th century*. London, 1927.

3. SYKES, S. P. *the Quest for Cathay*. London, 1936.

4. MAYER, H. E. *The Crusades*, Oxford University Press, 1988